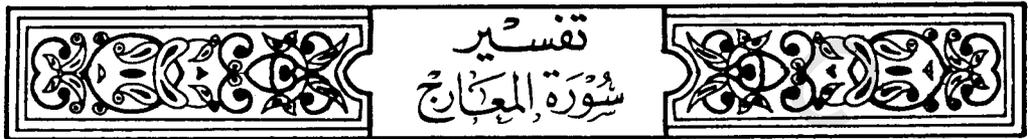


مِنَ أَمْرِ عَتَّةَ حَجْرِينَ ﴿٤٧﴾ إلى آخر السورة. قال فوق الإسلام في قلبي كل موقع، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر رضي الله عنه.

﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا﴾ أي محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده ففسبه إينا، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ أي لانتقمنا منه باليمين، لأنها أشد في البطش ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ هو نياط القلب، وقيل: هو البطن ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في ذلك بل هو صادق بار راشد، لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يعني القرآن، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [نصفت: 44] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة، ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّبِينَ ﴿٢١﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعرا: 200، 201] وقال تعالى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: 54] ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب. ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾

فيه تضمين دل عليه حرف الباء، كأن تقديره «استعجل» أي استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿رَسْتَعِجْلُوكُمْ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: 47] أي وعذابه واقع لا محالة. وفي النسائي أن هذا السائل هو النضر بن الحارث. أو هو سؤال الكفار عن عذاب الله، وهو واقع بهم، أو دعا

داع بعذاب يقع في الآخرة، وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32] وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي مرصد معد للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه.

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَرَنَّهُ قَرِيبًا (٧)﴾

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٣) ذي الدرجات، أو معارج السماء، أو ذي الفواضل والنعم ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (٤) تصعد، وأما الروح فهم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً، ويحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: هو يوم القيامة. وإسناده صحيح ﴿فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٦) أي وقوع العذاب، وقيام الساعة، يراه الكفرة بعيد الوقوع، بمعنى استحيل الوقوع ﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا﴾ (٧) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل، لكن كل ما هو آتٍ فهو قريب، وواقع لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّهَبِ الْمَلْحَمِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَآْزِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِنَفْسِهِ (١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوْءِ (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّهَبِ الْمَلْحَمِ﴾ (٨) كدردي الزيت ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (٩) أي كالصوف المنفوش، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٥) [القارة: 5] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (١٠) يَبْصُرُونَهُمْ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره، بل يفر بعضهم من بعض بعد ذلك. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمَآْزِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِنَفْسِهِ (١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا﴾ أي لا يقبل منه فداء، ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته ﴿إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوْءِ﴾ (١٦) هي جلدة الرأس، أو أطراف اليدين والرجلين ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقد لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال الله عز وجل، كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه، وترك العمل بجوارحه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) أي جمع

المال بعضه على بعض، فأوعاه أي أوكاه، ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات، ومن إخراج الزكاة، وقد ورد في الحديث: «ولا توعي فيوعي الله عليك».

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

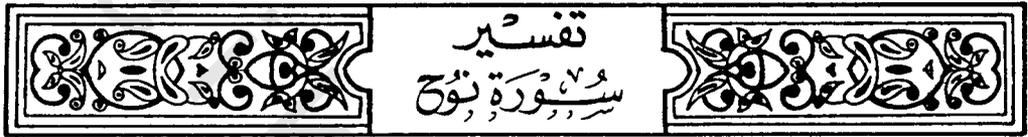
يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، ما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ ثم فسره ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «شر ما في الرجل: شح هالع، وجبن خالع» ورواه أبو داود. ثم قال تعالى: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي، الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووقفه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه، وهم المصلون ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ قيل: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، وقيل: المراد بالدوام هنا السكون والخشوع، وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه، كما جاء في الصحيحين عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ مَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فهم يعملون عمل من يرجو الثواب، ويخاف العقاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي خائفون وجلون ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أي من الإماء ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ مَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي إذا اتسما لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يهدروا، وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، كما ورد في الصحيح «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتسمن خان» وفي رواية «إذا حدث كذب، وإذا عاهد عذر، وإذا خاصم فجر» وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرَهُمْ﴾ يا محمد ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي فسيعلمون غيب ذلك، ويدوقون وباله ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب وهو الصنم، يتدورون أيهم يستلمه؟ وقوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي خاضعة ﴿تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقْتُورِ إِنِّي لَكُرٌّ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه أمرأ له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَقْتُورِ إِنِّي لَكُرٌّ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أي مبين النذارة، ظاهر الأمر واضح ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾ أي اتركوا محارمه، واجتنبوا مآثمه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به، وأنهاكم عنه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي إذا فعلتم ما أمركم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، و﴿يَنْ﴾ ههنا قيل: بزيادتها، ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر، وقيل: إنها بمعنى «عن» تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم، وقيل: إنها للتبعيض، أي يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام ﴿وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي يمد في أعماركم، ويدراً عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم، وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر» وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة، فإنه إذا أمر الله تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.